﴿ ما يقول التلميذ عن المدرسة ﴾

ليس من حالة اشد مضايقة للغلام من حالة تعلمه في المدرسة وذلك لانه خلق حراً والمدرسة تستعبده وتقيد حريته وخلق في راحة الجهل والمدرسة تلقيه في تعب العلم . ولقد كانت هذه الحالة اشد وضوحاً ايام كانت المدارس والكتاتيب اشبه بالمعسكرات وكان التلاميذ فيها كالعساكر لهم قوانين قاسية وحدود ضيقة وكانوا فيها يضربون ويعذبون اما الان فقد امتنع شيء كثير من هذا واصبحت المدارس مقبولة لدى التلاميذ بل مرغوباً فيها منهم لان حيل العصر الحاضر قد اوجدت لهم مرغبات كثيرة فيها حتى صار التعلم هيناً عليهم وصارت حريتهم اوسع مجالاً واذهانهم اكثر راحة وانطلاقاً فهم لا يكلفون الحفظ ولا الاجادة في الكماليات اضطراراً كالخط مثلاً ولهذا حسنت حالهم وقصرت ساعات تعليمهم وصاروا للمدرسة محبين

ولقد خطر لاحدهم خاطر لطيف وهو ان يسأل التلامذة على اعمار شتى ما يجدونه في المدرسة وما هو رأيهم فيها وكان سؤاله اياهم «لماذا يذهب الصبي الى المدرسة» وقد جمع اجوبتهم فكان من بعضها ما ننقله الان للفكاهة وان كان لا يخلو في حالات من حكمة

اما اعمار التلاميذ فقد كانت بين التاسعة والثالثة عشرة وكان من اجوبتهم قول احدهم انني اذهب الى المدرسة لانني اجد البيت مظلماً قبيحاً ولا سيما يوم يكون فيه غسل الملابس

وقال آخر

انني اذهب الى المدرسة صغيراً لكي اصير كبيراً . وقال آخر

انني اذهب الى المدرسة نهاراً كي لا اضطر ان اذهب اليها ليلاً (اي لكي لا يتعلم على كبر) . وقال سواه

انني اذهب الى المدرسة لانني اجد فيها طعاماً على حين لا اجد في البيت شيئاً (ويظهر ان هذا الصبي في غاية الفقر وقد اجاب بما املاه عليه لسان الحال) . وقال آخر

انني اذهب الى المدرسة لكي استطيع ان انظم شعراً واكتب قصصاً (وقد املى هذا عليه رواج الشعر والادب في بلاده وغنى صاحبها منه) وقال سواه

انني اذهب الى المدرسة لكي لا العب (وهذا في التاسعة لا شك) وقال سواه

اذهب الى المدرسة لكي اكتب بفصاحة وانطق عن سداد (وهذا جواب في غاية الحكمة اذ هذا هو جل المقصود من المدرسة بعد ما تبين انها لا تقوّم خلقاً ولا تغير طبعاً الا قليلاً) . وقال آخر

اذهب الى المدرسة لا كون عالياً ارى كثيرين تحتي (وهذا جواب في غاية السداد ايضاً) . وقال سواه

المدرسة تأتيني بالمال فاعيش سعيداً . وقال غيره

اتعلم في المدرسة لكي لا اتعلم القمار . وقال غيرهم اقوالا كثيرة منها قول في غاية الحكمة وهو ان المدرسة تعلمني الجدال فتغنيني عن القتال وقال آخر . المدرسة تعلمني ان اعلم غيري وقال آخر . انها تعينني على حمل

اثقال غيري . وقال آخر . انني اذهب الى المدرسة اذ لا اجد المدرسة تأتي الي . وقال آخر قولاً مضحكاً للغاية وهو انني اذهب الى المدرسة لكي يرتزق المعلم بسببي ولا يكون من متشردي المدينة

وهذا القول سديد لانه يوجد في اوربا عشرات الوف من المعلمين الذين لا يتقنون غير صناعة التعليم فاذا هجرهم التلاميذ (شنقوا نفوسهم) الا ان الذي تنبه اليه السائلون من شتى هذه الاجوبة ان التلاميذ لم يشيروا ادنى اشارة الى الالعاب الرياضية التي تشغل وقتاً طويلا من اوقات تعلمهم فاستدلوا بذلك على ان محبتها غير راسخة في افئدتهم ولا هي في دائرة ولوعهم . كما انهم لم يذكروا الدين ولا الآخرة والثواب ونحو هذا مما يتعلمونه فاستدلوا بذلك على ان هذا كذلك غير مؤثر فيهم وانهم غير مبالين به . كما انهم لم يذكروا الصداقة بين انماطهم مع ما في المدرسة من شدة الائتلاف وموجبات المحبة والمصافاة فاستدلوا بذلك على ان صحبة التلاميذ كصحبة السفينة تبقى ما بقيت السفينة سائرة ثم تنحل سريعاً حين ترسو على البر ولذلك لا تكون صداقة قلب بل صداقة وجه ولسان

ولعل هذا الحديث ينبه مدارسنا الى القاء مثل هذه الاسئلة على صغار التلاميذ فانه قد يبدو من مجموعها حكمة وفكاهة كما قد يبدو فيها ما يدل على حالة التعليم في بلادنا ومقدار تاثيره بين التلامذة من اكثر الجهات